

درواية

# هبة عيسى

تأليف

هبة الله عيسى



# هنية

هبة الله عيسى

## اهداء

أشكر من كل قلبي كل من وقفوا جانبي ودعموني  
وشجعوني أن أكمل ما بدأت وأعجبتهم أسلوبهم وأحبوا  
رواياتي. أشكر كل من جبروا خاطري بتشجيعهم  
وكلماتهم اللطيفة سواء الأصدقاء أو المتابعين في كل  
مكان نشرتها به وخاصة صديقتي الحبيبة (أمواج البحر)  
والمبدعة (رحاب جمال) على تصميمها الرائع للرواية  
أشكركم من كل قلبي وأدعو الله أن نلتقي تحت ظل  
عرشه وفي جناته جعلكم الله من سعادة الدنيا والآخرة.

مقدمة

من قال أن الجميع له من اسمه نصيب؟ البعض يكون  
اسمهم لعنة تُهلكهم.

احذر أن تُصدق كل ما تراه عينيك، لا تكن فضولياً  
أكثر من اللازم فقد يقتلك فضولك

## الفصل الأول

### حلم

أود أن أعرفكم بنفسي. أنا هنية، اسم قديم ألا ترون هذا؟ لكن معناه جميل أليس كذلك؟ يقولون أن لكل شخص من اسمه نصيب، لكن كان نصيبي أنا غير اسمي تماماً. أتودون أن أحكي لكم كيف؟ حسناً، هيا بنا.

بدأت الحكاية في ليلة من ليالي أكتوبر الكئيبة، تحديداً في بداية الأسبوع الأخير من الشهر، كنت نائمة وحلمت بصوت يقول لي (يوم 7/15 القادم) إنتهى الحلم على ذلك، وصحوت من نومي فزعة وأرتجف ولا

أدري لماذا؟ إنه مجرد رقم فما المرعب فيه؟ رقم عادي!  
لكن لم أستطع النوم طوال الليل والذي كان لا يزال في  
منتصفه وبقيت مستيقظة حتى الصباح فقد خشيت أن  
أغمض عيني رغم أنني قرأت آية الكرسي وقت بتشغيل  
القرآن الكريم على الهاتف ووضعتة بجواري، إذاً  
فإحتمال كون هذا الحلم كابوساً هو احتمال منعدم لأتني  
أنام على طهارة وأقرأ الأذكار قبل النوم. بتُّ ليلتي أفكر  
في معنى تلك الأرقام وأسأل نفسي: يا ترى ما معناها؟  
إنها تكون تاريخ ليوم ما ولكن أي تاريخ يكون؟ هل  
هو يوم ميلاد شخص أعرفه؟ أم تاريخ مناسبة عامة  
مثلاً؟ أم هو ذكرى عالمية هامة أو ربما محلية؟ أم ربما

يكون عيد من الأعياد المشهورة؟ كادت رأسي تنفجر  
من كثرة التفكير وتضج بالكثير من الأسئلة حتى أنقذني  
من تفكيري صوت أذان الفجر فتوضأت واصلت  
وأخذت أقرأ أذكار الصباح حتى أشرقت الشمس  
فتناولت إفطاري وارتديت ملابس العمل وذهبت إلى  
مقر عملي. يا الله! لقد نسيت أن أخبركم أنني أعمل في  
محل قديم لبيع التحف والأنتيكات في حي (خان  
الخليلي) وهو نفس الحي الذي أقطن به، وحدي بالطبع  
فأنا يتيمة منذ كنت بعمر الخامسة عشر فقد مات  
أبواي تباعاً لذلك إضطرت للعمل لكي أتكفل بمعيشتي  
لأن ليس لدي معاشاً أو أقارب. بحثت كثيراً عن عمل

حتى وجدت هذا المحل والذي كان اسمه "أنتيكات  
هنية" مصادفة غريبة جعلت كل زبون ليس من  
المنطقة يعتقد أنني صاحبة المحل - بنت صاحبه أو  
زوجته- والذي يكون شخصاً عجوزاً جداً تخطى التسعين  
عاماً، ولأنه تعامل مع اليهود لمدة طويلة فقد أصبح  
بخيلاً مثلهم حتى أن صفاته تشبههم جداً، لوهلة تشعر  
أنه واحد منهم فبخله هذا جعله يظل طوال عمره يعمل  
وحده في المحل ولا يُوظف أي عامل أو مساعد له رغم  
أن الحي منطقة حيوية وزبائنها أكثر. طبعاً من المؤكد  
أنكم تتسائلون الآن ما الذي جعله يُغير رأيه فجأة هكذا  
بعد مرور كل هذه الأعوام؟ فشخص مثله إفتح هذا



المحل وهو بعمر العشرين عام وعمل به وحده ما الذي  
 يجعله يُوظَّف مساعداً له وهو في عمر الخامسة والثمانين  
 عاماً! أليس ذلك غريباً بعض الشيء؟ إنه حقاً لشيء  
 عجيب ولكنه أخبرني أنه كَبُرَ في السن وأصبح بطيئاً  
 جداً مما يجعل الزبائن يشعرون بالضيق ونصحوه أن  
 يبحث عن مساعد له يساعده في العمل ويُنشط حركة  
 البيع، ففكر كثيراً في الأمر ثم أعلن عنه. لم يُعلن في  
 الصحف طبعاً، لقد أخبرتكم أنه بخيل! لقد إكتفى بأن  
 علق ورقة على باب المحل يطلب فيها مساعداً له،  
 فرأيته أنا عندما كنت أتجول بالحي أبحث عن عمل في  
 المحلات فدخلت إليه وطلبت منه أن يوظفني عنده،

رفض في البداية لأنه كان يريد شاباً يافعاً قوياً حتى  
 يستطيع أن يحمل التحف الثقيلة ويتحمل شدة العمل  
 لكنه عندما أخبرته أن اسمي هنية وأني يتيمة وأحتاج  
 العمل بشدة وافق، وأيضاً ظن أنني ربما أجذب الزبائن  
 أكثر لكوني فتاة فالعمل متوقف لديه منذ فترة. وافقت  
 مضطرة طبعاً لأنه ليس لدي خيار آخر خاصة أنني  
 قد حولت من الثانوية العامة للثانوية التجارية منازل  
 حتى أستطيع أن أعمل وأتعلم في نفس الوقت وأيضاً  
 لأنني إطمأنت لأنه رجلاً شيخاً كبيراً ولن يعاملني  
 بطريقة غير سوية كما نرى في الأفلام. إذا فالأمر لله  
 يجب أن أتحمل مشقة العمل.

مرت خمس سنوات وأنا أعمل في نفس المحل، حفظت  
فيهم أسرار العمل وكل ما يخصه وأصبحت أستطيع  
تثمين التحف جيداً. نسيت أن أخبركم أن المحل أصبح  
من أكبر المحلات في الخان في مجال بيع التحف بسبب  
معاملتي اللطيفة للزبائن ووجهي البشوش، لا تُسيئوا  
فهمي فأنا لا أعاملهم برقة زائدة وخضوع بالقول بل لا  
أعاملهم باحترام وأدب وأعرف ما يريدون من تحف  
سريعاً فقد أعجبهم ذكائي وسرعة بديهتي وخفة حركتي مما  
يجعلهم لا يمكنون بالمحل كثيراً ويتعطلون مثلما كان يفعل  
معهم صاحب المحل.

أوشكت أن أكمل العشرين من عمري وأنا الآن أدرس  
في الصف الثاني في كلية التجارة إنتساب بالطبع حتى  
لا أحضر محاضرات ويتسنى لي العمل.

وصلت إلى عملي مبكراً اليوم لأنني لم أستطع النوم  
طبعاً، ومن كثرة التفكير كانت ملامحي باهتة والإرهاق  
واضح جداً على وجهي وإختفت إبتسامتي، وطبعاً  
لاحظ الجميع ذلك سواء الزبائن أو صاحب المحل  
وسألوني عن السبب فقلت لهم أني مريضة قليلاً. إنتهى  
اليوم أخيراً وبالمناسبة أنا أعمل 12 ساعة من التاسعة  
صباحاً حتى التاسعة مساءً.

إشتريت طعاماً لي من الطريق وأنا عائدة إلى بيتي  
فأكلت وقرأت الأذكار ونمت سريعاً من شدة الإرهاق،  
ولكن لم أستمع بالنوم فما كدت أغمض عيني حتى  
حلمت بنفس حلم الأمس والذي كان عبارة عن ظلاماً  
دامساً لا أرى شيئاً حولي ولا أرى أحداً وكان هناك  
صوتاً يقول مرة أخرى: (7/15 القادم) ثم صمت لوهلة  
وقال: سيكون يوم وفاتك.....

## الفصل الثاني

### تحفة عجيبة

إستيقظت فزعة من نومي، كان قلبي ينتفض ولم أبدأ أي ردة فعل غير أنني بكيت وحسب، وبعد مدة من البكاء كفكت أدمعي وتحدثت إلى نفسي أطمئنها قائلة: لما الخوف؟ إنه مجرد كابوس من الشيطان فلا أحد يعلم متى موعد وفاته (لا يعلم الغيب إلا الله) وحتى إذا حدث وتحقق الحلم فما الضير في ذلك؟ إنك شخص وحيد يعيش بمفرده ولا يوجد من يخشى عليه أو يحزن على موته حتى أن غيابك لا يضير أحداً ولا يُشكل فارقاً في حياة أي شخص، على الأقل عندما تموتين

ستجدين عملك يؤنسك في قبرك وتتخلصين من الحياة  
 الدنيا ومشاكلها وآلامها، ثم هل هناك أفضل من لقاء  
 الله أيتها الحمقاء؟

نهضت من سريري وذهبت توضأت وصليت قيام  
 الليل وانتظرت قدوم الفجر فأديت صلاته وبعدها  
 غطيت في نوم عميق أفقت منه متأخرة نصف ساعة  
 عن موعد عملي فنهضت مسرعة وارتديت ملابسني  
 وأسرعت إلى العمل فوجدت صاحب المحل واقفاً في  
 بابه وسألني بقلق: لماذا تأخرتي يا هنية؟ نصف ساعة  
 كاملة! إنه ليس من عادتك هذا التأخير! حتى أنك

بالأمس كنتِ على غير ما يرام! أمریضة أنتِ؟ يبدو

أنكِ لم تنمي بشكل جيد!

أجبتة: آسفة جداً أستاذ سيد على التأخير فلم أتم طيلة

الليل نمت فقط فجراً فغلبني النوم وتأخرت أعتذر لك.

رد بلهجة حادة قائلاً: حسناً كفاك ثثرة وإذهبي لعملك

ولا تتأخري مرة أخرى.

قلت له: أمرك. وأنا بداخلي أقول لنفسي: خمس

سنوات لم أتأخر ولو للحظة واحدة، دائماً ما أصل قبل

الموعد المحدد وأذهب بعد الموعد وعندما تأخرت لأول

مرة يكلمني بهذه الطريقة الحادة ألا يوجد بعض

التقدير؟ اللهم أنقذني من هذا العمل.



من المؤكد أنكم تتسائلون لما لم أتزوج حتى الآن؟ فقد أصبحت في العشرين من عمري على الأقل سأجد من يتكفل بمصاريفي أليس كذلك؟ رغم أنني مازلت صغيرة لم أتخطى سن الزواج بعد لكن سأخبركم لماذا؛ فأنا لست ذات جمال مُبهر لدرجة أنه يجعل الرجال يتهافتون علي ويتمنون الزواج مني فأنا فتاة متوسطة الجمال والطول فطولي 165 سم ووزني 50 كيلوجراماً، نحيفة أليس كذلك؟ وملامي بسيطة ذات لون قمحي، محجبة وأرتدي ملابس واسعة، طبعاً الرجال لا تهتم إلا بالشكل أو بالمال وأنا لا أملك أيّاً منهما، لكن الحمد لله يعجبني مظهري وملامي جداً وراضية بهم ويكفيني

إبتسامتي التي تُثير وجهي وتجعله أجمل، لكن طبعاً  
الرجال نظرتهم تختلف فكل شخص يبحث عن شيء  
معين في الفتاة، ليس معنى ذلك أن لا أحديتقدم  
لخطبتي، لا هذا ليس صحيح طبعاً فقد تقدم لي الكثير  
ولكن كل منهم به صفة لا تروق لي؛ أولاً: أنا فتاة يتيمة  
والذي سأتوجه لا بُد وأن يُصبح كل أهلي فيجب أن  
أختاره جيداً حتى يكون لي سنداً صالحاً فأنا لا أريد أن  
أعاني بقية عمري يكفيني ما عانيته، ثانياً: أنا لا أملك من  
حطام الدنيا شيئاً إلا راتبي وبالكاد يكفيني لذلك لن  
أستطع تجهيز نفسي، وعزة نفسي تمنعني أن أقبل  
مساعدة من أحد. لذلك أرفض كل عروض الزواج

وأبلغ رفضي لمن يتوسط في الأمر حتى قبل أن أقابل  
العريس منعاً للحرج. المهم فلنعد لموضوعنا، طوال اليوم  
كان ذلك العجوز يراقبني وينظر لي نظرات جانبية  
فَبَدَى وكأنه ليس مُرتاحاً لي ولا أدري لماذا، هل هذه  
أول مرة يرى فيها شخصاً لم ينم جيداً؟ أم أنه ينوي  
طردي لأني تأخرت؟ لا لا مستحيل فهو لا يستطيع  
الإستغناء عني. عجوز خبير -أقصد أستاذ سيد  
صاحب المحل، فأنا دائماً ما أسمع الناس تُلقب أي  
شخص كبير جداً في السن ومعاملته حادة مع الناس  
بعجوز خبير فأعطيته هذا اللقب بيني وبين نفسي  
طبعاً- أتعلمون أنه ينزع عندما يناديه أي أحد ويقول

له يا حاج مثلما نادي أي شخص كبير في السن وهذا  
الأمر يُثير دهشتي وفضولي فقد طلب مني أن أناديه  
أستاذ. حسناً أيها الأستاذ الغامض سوف أعرف ما  
الذي تُخبئه ذات يوم! إنتظروا سأصفه لكم؛ هو عجز  
وجفه ملئ بالتجاعيد لكنه مازال وسيماً فيبدو أنه كان  
جميلاً جداً عندما كان صغيراً، طويل القامة أطول مني  
تقريباً بـ 10 سم ونحيف، لكن رغم سنه إلا أنه مازالت  
قامته مستقيمة لم تتأثر بعوامل العمر ومازالت صحته  
قوية لكن حركته أصبحت بطيئة قليلاً. لقد تخطى  
التسعين عاماً تقريباً، أعتقد أنه مواليد الثلاثينات من  
القرن الماضي، عاش في عصر الملكية وعاصر كل

رؤساء مصر وعاشر اليهود الذين كانوا منتشرين في  
الخان قديماً فكان له أصدقاء كثر منهم، وأسمع أنه كان  
يهودياً وأسلم حتى يظل مُقيماً هنا. لا أحد يعرف شيئاً  
عن عائلته لأنه شخص غامض جداً وليس له أصدقاء  
فلا يخرج من بيته إلا للمحل لا يزوره أحد ولا يزور  
أحدًا، حياته كلها مُنحصرة في التحف فهو يعشقها، أي  
تحفة جديدة يشتريها ينظر لها بشغف وإهتمام شديد  
كأنه رأى ابناً له قد أنجبه لتوه ( ليس لديه أولاد طبعاً  
هذا مجرد مثال).

أما المحل فليس ضخماً ولكنه محلاً عادياً وصغيراً مثل  
جميع محلات الخان، وطبعاً كما هو معروف فالمنطقة

سياحية وأغلب الزبائن أجنب إن لم يكن جميعهم فمن  
سيشتري التحف الباهظة الثمن هذه غيرهم فهي أصلية  
وقديمة جداً، طبعاً لا يوجد آثار بالمحل لا تُسيئوا الظن  
فهو يشتري تلك التحف من أصحابها أنفسهم وليست  
تحفاً مسروقة فلتطمئنوا. الغريب في الأمر أنه منذ  
بدأت العمل معه والزبائن زادت بشكل ملحوظ لكن  
بالأمس واليوم نقصت نسبتهم قليلاً! ليس قليلاً فقط  
بل نقصت للنصف تقريباً! هل شعروا أنني مرهقة  
فأرادوا راحتي وألا يُرهقوني أكثر أم ماذا؟ أففف،  
كالعادة سيَحْمَلني عاقبة هذا الأمر فهو دائماً ما ينسى

فضلي ويتذكر فقط السلبيات، وما الغريب في ذلك

فهو حفيد اليهود ويشبههم فعلاً!

منذ يومين إشتري تحفة جديدة وكانت ثقيلة جداً

وطلب مني أن أنقلها من مكانها إلى المخزن لأنها أعجبتته

ولا يريد أن يراها أحد فتعجبه ويشترها لأنه طبعاً لا

يقاوم المال، أثناء ما كنت أنقلها كانت ثقيلة جداً، كنت

أسير محنية الظهر ومن شدة ثقلها شعرت أن ظهري

سينكسر بسببها. عندما وصلت المخزن -وهو عبارة عن

غرفة صغيرة جداً داخل المحل- سقطت مني غضباً عني

وظلت تهتز وهي مكانها مُحدثة صوت ذبذبات أحدثت

هزة بسيطة في المكان وسببت لي دوارة وصداعاً

فضلياً مازلت أعاني منه حتى اليوم، طبعاً هو ما إن  
 سمع الصوت حتى أتى يهرول وظل يَسْبني ويعنفني  
 وكان سيطردي بسبب هذا الشئ لكنه راجع نفسه  
 وتذكر أن لا أحد يتحملة غيري فأكتفى بطردي من  
 المخزن فتركته مع تلك التحفة وخرجت.

لا أدري لما يُعظم الأمر لهذه الدرجة! فهي لم تتأثر بذلك  
 السقوط ومازالت سليمة مثلما كانت قبلها! لكنه شخص  
 عجيب فلو كان شخصاً طبيعياً ما كان سيشتري هذا  
 الشئ! فهي مجرد شئ بحجم البطيخة لكن وزنها كأنه  
 طناً، الغريب أصلاً هو شكلها فهي مجرد شئ دائري  
 لونها أسود مرسوم عليها رسمة عجيبة لا أدري ما هي فلم



أرى مثلها من قبل قط وكان مكتوب على ظهرها

رقماً....

الرقم هو 7/15!

## الفصل الثالث

### كُرة البطيخ

لا أدري ما الذي ذكّرني بِكُرة البطيخ تلك بهذا الشكل

المفاجئ (أقصد التحفة فأنا لا أدري كُنْها فأسميتها كُرة

البطيخ). كنت في المسجد أصلي العصر وبعد أن

فرغت من صلاتي جلست لأتلو الأذكار كعادتي

فتذكرت ما حدث، فهل يا تُرى هذه البطيخة لها علاقة

بالحلم أم أنها مجرد صدفة؟ ماذا إذا؟ هل سأظل أفكر

فقط؟ لا بد أن أتأكد، لكن كيف؟ إنه متواجد بشكل

دائم في المحل ولا أدري متى يذهب للمسجد هل

يذهب بعد ذهابي أنا أم لا يذهب مطلقاً؟ ولنفترض

أنه يذهب فأنا لن أضيع الصلاة لكي أتأكد لن يحدث  
 أبداً، لكن سأحاول أن أختلق عذراً بأي شكل حتى  
 أدخل المخزن. يا إلهي! كيف نسيت هذا؟! لقد منعتني  
 أن أدخله منذ أن أدخلت إليه تلك البطيخة وأغلقه  
 بالمفتاح وعلقه في رقبته، آه منك يا عجوز خبير!  
 خرجت من المسجد وذهبت لشراء طعام الغداء لي  
 وله ثم عدت إلى المحل فوجدته جالسا كالعادة على  
 كرسيه خلف مكتبه الصغير، متى يُصلي هذا؟ كل  
 صلاة أصل المحل فأجده قد وصل قبلي! أعطيته  
 سندويتشات الفول والطعمية -هما إثنين فقط ومن  
 الجيد أنه يخالف بخله ويشترهم من الأساس- ذهبت

إلى مكاني لكي أتناول طعامي (الكشري، دفعت ثمنه أنا  
طبعاً، طعامي على نفقتي الخاصة) كنت سأفتح كيس  
الدقة حتى أضعه عليه ولكن وَاَتَتْنِي فكرة مفاجئة،  
فتحت الكيس بقوة فسقط فوق خماري وعبائتي  
فصرخت بصوت عالٍ ففرع وقال: ماذا بك؟ بكيت  
وحسب ومثلت أنني مُنْهارة فكان في حيرة من أمره ولا  
يدري ماذا بي ولا كيف يساعدني لأهدأ؟ فحاول تهدئتي  
فهدأت قليلاً وقلت له: لقد سقطت الدقة على  
ملابسي فإتسخت بشدة وأريد أن أنظفها، فرد  
بتعجب: يالك من تافهة! لقد أفرعتيني، إتركيها  
وستجف وحدها. قلت له: نعم؟! ماذا تقول؟ إنها

واضحة جداً، كيف يكون مذهري الآن أمام الزبائن؟

لربما يهربون من المحل فالمظهر العام مهم جداً في عملنا

هذا، عامة أنت حر فهو مَحَلُّكَ أنت لا مَحَلِّي أنا.

صُدم من كلماتي وفكر قليلاً ثم قال: حسناً كفاك ثرثرة

وأخرجني خارج المحل ونظفها أو إذهبي للمسجد.

رددت (متصنعة الدهشة): كيف بالخارج حضرتك؟! أنا

مضطرة أن أخلع الخمار لكي أنظفه جيداً فكيف أخلعه

في الشارع إذن؟! ثم أن المسجد يُغلق مُصلي النساء

بعد الصلاة مباشرة، أعطني مفتاح المخزن لكي أنظف

الخمار بداخله، سأمسحه فقط ولن أسكب ماءً على

الأرض فلا تخشى على التحف. لكنه تعصب ورد

بغیظ: لن تدخلی المخبزن مرة أخرى. أتریدین أن  
تُسقطی باقی التحف وتكسرینها هی الأخری  
قلت له بهدوء وأنا أبکی: لقد كانت مرة دون إرادة منی،  
هل سبق لی أن كسرت شیئاً قبل هذا؟ أرجوك  
أترکني أدخل دقائق فقط ولن أقترب من أي شیء،  
أنسیت؟ إنها أنا هنية التي تعمل معك منذ خمس  
سنوات قضیتهم بین المحل والمخبزن ولم أفسد أي شیء  
مطلقاً من قبل؟

عندما یسمع اسم هنية لا أدري ما الذي یحدث له؟  
یلین سریعاً، أیُعقل أن یكون له ابنة اسمها هنية وماتت  
مثلاً؟ ربما! العجوز الغامض المریب هذا یجعل شکی به

يزيد كل يوم أكثر لكن لا يهم ذلك الآن فالمهم هو  
التحفة.

قال بنفاز صبر: هيا أنجزى فالعمل سيتعطل هكذا،  
أدخلي سريعاً ولا تتأخري، عشر دقائق فقط لو لم  
تخرجي سأدخل وأخرجك بالقوة أفهمتي؟

قلت متصنعة الخوف: حسناً حسناً لن أتأخر.

سبقني هو وفتح المخزن وقال: هيا أدخلي. دخلت  
وأخذت معي زجاجة مياه ومنديلاً ونظفت الخمار  
بسرعة وأنا لازلت أرتديه هو والعباءة وهرولت إلى  
المكان الذي تركت به التحفة ولكن لم أجدها! يا للهول!  
أين ذهبت هذه؟! مستحيل أن يكون قد استطاع

حملها ونقلها من مكانها فأنا شابة ولم أستطع فكيف  
يقدر هذا العجوز؟! بحثت عنها في المخزن كله بسرعة  
ولم أجدها مطلقاً! يا للمصيبة! ماذا سأفعل الآن؟ فلا  
بد أن أفهم هل لها علاقة بأحلامي أم لا؟

ما كل هذا التأخير؟ إنتفضت عندما سمعت صوته  
والتفتُ خلفي فوجدت عجوز خبير واقفاً ينظر لي بغيظ  
وهو يقول ذلك فقلت له: كنت أضبط الخمار، آسفة  
على التأخير فالبقعة كانت صعبة أعتذر. تركته وذهبت  
مُسرعة، ولكنه تأخر قليلاً قبل أن يتبعني! مؤكداً أنه  
كان يطمئن على البطيخة لكن أين خبأها يا ثرى؟



حتى نهاية اليوم كان ينظر لي بين الحين والآخر نظرات  
 يملؤها الشك ولا أدري لماذا فكل شيء بمكانه لم آخذ أي  
 شيء!

أخيراً إنتهى هذا اليوم المرهق نفسياً وجسدياً! ذهبت  
 إلى بيتي مسرعة حتى أنه لم يكن لدي طاقة لأشتري  
 طعاماً ولم يكن عندي شهية له أصلاً، وبمجرد وصولي  
 للبيت إرتميت على السرير ولم أبدل ملابسي ونمت  
 مباشرة وياليتني لم أنم!! لأن مجرد أن نمت حلمت بعدة  
 كوابيس غير مفهومة فكنت أخرج من حلم أدخل في  
 حلم آخر ولم أستطع الإستيقاظ مهما حاولت كأن هناك  
 من يجذبني للحلم رغماً عني! حلمت أنني أهرب من شيء

لا أراه ولا أدري ما هو وفجأة أجد نفسي في متاهة ولا  
 أستطيع الخروج منها وبعدها أجد أناس كثر حولي  
 يريدون ضربي! لم أستطع أن أستيقظ إلا عندما سمعت  
 أذان الفجر ففتحت عيني دون إرادة مني وبقيت لفترة  
 أنظر للسقف نظرات تائهة ولا أدري ما هذا الذي  
 يحدث لي وهل يا ترى هذه الكوابيس لها علاقة  
 بالحلمين السابقين والبطيخة أم أنها مجرد كوابيس من  
 كثرة التفكير والضغط على عقلي؟ كفاني تفكير لهذا  
 الحد فقد تَلَفْتُ أعصابي. نهضت من سريري وذهبت  
 للحمام فتوضأت وصليت الفجر وتلوت أذكاري وبعدها  
 أنهيتها قمت بتحضير الإفطار لكن لم أستطع تناول لقمة

واحدة فما زالت شهيتي منعومة وأشعر بالإحباط  
فإرتديت ملابسني ونزلت من بيتي في طريقي للعمل.  
كنت أسير ببطء وأنا أفكر في تلك الكوابيس وأحاول  
إيجاد تفسير لها، كنت أسير وأنا تائهة لا أشعر بمن  
حولي وشعرت أن هذا الطريق طويل جداً ليس له  
نهاية، لكنني وصلت المحل في النهاية. أفقت من شرودي  
عندما وجدت الناس مجمعة أمام المحل ويوجد أيضاً  
عربات الإسعاف والشرطة والمطافئ لأن المحل  
كان.....يحترق!

## الفصل الرابع

### كابوس أم

يا للمصيبة! هرولت مُسرعة إلى المحل وأنا أسأل كل من حولي كيف حدث هذا الحريق ولكن لم يُجبني أحد. ساعتان كاملتان والمطافئ تبذل جهودها في إطفاء الحريق دون جدوى، ما كل هذا الوقت؟! إنه لو كان بيتاً كبيراً هو الذي يحترق لما أخذ كل هذا الوقت! والمدهش في الأمر أن النار لم تمس أي محل من المحلات المجاورة ولا أي جزء من العمارة التي تحتها المحل! قطعاً لا أتمنى لهم الشر ولكن أتساءل فقط ألا ترون هذا غريباً فالحريق كان رهيباً؟! منذ أن وصلت وأنا واقفة على جانب

الطريق مصدومة وأبكي وقدماي لا يستطيعان حملي  
فأنا أعاني من فوبيا الحرائق فأصاب بالرعب عند رؤيتها  
وأيضاً هذا الحريق يعني أنني فقدت مصدر رزقي  
الوحيد فماذا سأفعل الآن؟ بعدما أنهت المطافئ عملها -  
وأخيراً أخذ الحريق - دخل المسعفون إلى المحل ثم  
خرجوا حاملين جثة فأقبلت مسرعة عليهم وكشفت عن  
وجهها وباليستي ما كشفت! لقد كان شخصاً متفحماً كلياً  
بشكل مرعب جداً! خمنت أنه ربما يكون أستاذ سيد  
فمن سيكون غيره! فهو وحده من يملك مفتاحاً للمحل  
أو ربما يكون هذا الشخص سارقاً مثلاً؟ أبعدي الناس  
بعيداً عن الجثة فجميعهم قد توقعوا أنه هو وحاولوا

تهدتني لكن كيف لي أن أهدأ بعدما رأيت هذه الجثة  
 المرعبة؟ كيف أهدأ وقد مات ذلك العجوز؟ حقاً إنه  
 كان يزعجني كثيراً ولكنه عشرة خمس سنوات كاملة،  
 كان أكثر شخص أراه في يومي؟ كيف أهدأ وقد  
 أصبحت دون عمل والله وحده أعلم هل سأجد عملاً  
 آخر أم لا ومتى وكيف سيحدث؟ أبعدهم عني  
 وأخذت أصرخ بأعلى صوتي وبأقصى قوة لدي،  
 وفجأة.... صحت من النوم!! أيعني ذلك أنه كان كابوساً  
 ولم يكن حقيقة؟ لكن كيف لقد شعرت أن الأمر  
 حقيقي بشدة؟! إستعدت بالله من الشيطان الرجيم  
 وحمدته أن ذلك لم يكن حقيقياً وسمعت أذان الفجر! ما

هذا ما الذي صليته منذ قليل إذا؟ أها تذكرت لقد كان

كابوساً. نهضت من سريري ومثل كل يوم صليت

وتلوت الأذكار وأفطرت بلا شهية وخرجت إلى عملي

ولكن هذه المرة كنت أمشي بسرعة رغبة مني أن أصل

إلى المحل في أسرع وقت ممكن فلو كنت أستطيع

الطيران لفعلتها. وصلت أخيراً وكنت أتنفس بسرعة

ولكن ما كدت أصل حتى تفاجئت بما رأيته !! لقد كان

المحل يحترق بالفعل وجميع من بالخان مجتمعين يحاولون

هم والمطافئ إخماد الحريق فوقفت مكاني مصدومة لا

أستطيع تصديق ما تراه عيناى! وبعد أن أخدموا

الحريق إقتربت من المحل فوجدت أستاذ سيد جالساً

على الأرض ويبيكي وينتحب، إقتربت منه أريد أن  
أواسيه لكنه عندما رأني قفز من مكانه ونادى الضابط  
وأخبره: هذه هي يا حضرة الضابط المجرمة التي أحرقت  
المحل! ماذا تقول يا هذا؟ أتمزح! أي محل هذا الذي  
أحرقته أنا؟ لقد وصلت لتوي! طبعاً لم يصدقني أحد  
وأمسكوني وأركبوني عربة الشرطة وأخذوني إلى قسم  
الشرطة ليُحققوا معي! كل هذا حدث وأنا لست  
مُستوعبة ما هذا الذي حدث ويحدث وكيف حدث  
وخاطبت نفسي محاولة تطمئنثها: إهدأي فمؤكد أن هذا  
حلم وستستيقظين منه مثل سابقه فلا تقلقي. ظلمت  
أقاوم محاولة أن أستيقظ لكن لم يحدث! ما معنى هذا؟



أيعني أن هذا ليس حلماً؟ معنى ذلك أنني فعلاً قد

قُبض علي وسأُسجن؟! وامصيبتاه!!

أخذوني للضابط الذي فتح محضراً وبدأ التحقيق معي

وسألني: لماذا دخلتي إلى المخزن؟ ولما خططتي لهذه

الجرمة؟ وكيف قُمتي بتنفيذها؟ ومتى نفذتها؟ ولما

عُدتي إلى المحل اليوم لما لم تهربي؟ أكان غرضك السرقة

أم الإنتقام؟ لما لا تُجيبيني؟ هيا تكلمي!

كنت مفزوعة ومصدومة وعندما نهري فزعت أكثر ولم

أستطع كبح دموعي وأجهشت بالبكاء والنواح حتى

أصبت بإنهيار عصبي وفقدت الوعي! أفقت بعد قليل

فوجدتني في..... في غرفتي وعلى سريري!! ما هذا؟

هل أنا ما زلت أحلم أم خرجت للواقع وكيف عدت  
للبيت؟! أمعقول أنني كنت أحلم كل هذا الوقت؟!  
حاولت أن أنهض لكن لم أستطع أن أتحرك شعرت  
كأنني مُقيدة في السرير، حاولت أن أقاوم لكن رأسي  
فقط الوحيد الذي كان يتحرك في جسدي كله! حاولت  
أن أصرخ لم أستطع فصوتي لا يخرج من حلقي، إلتفت  
يميناً فوجدت شخصاً واقفاً بجانبني! كان هذا الشخص ما  
هو إلا.....الجثة المحترقة!

## الفصل الخامس

### مفاجأة غير متوقعة

حاولت أن أصرخ لم أستطع فقد كدت أموت رعباً فلا  
 أنا أستطيع الحركة ولا حتى قدرة على الصراخ لربما  
 يُتجدني أحد من الجيران لو سمعوا صراخي لكن دون  
 جدوى فصوتي مكتوم داخلي! لم أستطع فعل أي شيء  
 سوى إغماض عيني بقوة حتى لا أرى منظر ذلك  
 الرجل البشع وحتى لا أرى ما سيصنعه بي. الأمر  
 مرهق نفسياً بشكل كبير فلکم أن تتخيلوا أن تفتحوا  
 أعينكم فتتفاجئون بجثة متفحمة واقفة أمامكم لونها أسود  
 مثل الفحم وعيناها كبيرتان وبارزتان جداً لونها أبيض

ناصع وعدستيها صغيرة جداً وسوداء حتى أن رائحته  
 كرائحة اللحم المحترق ويخرج من جسده دخان خفيف!  
 تخيلوا مقدار الرعب الذي كنت فيه وعقلي لا يصور  
 لي غير أنه يريد أن يأكلني فقد كان ينظر لي بغضب،  
 حتى عندما أغمضت عينيّ تخيلته وهو يأكلني بالفعل!  
 لاا، إن هذا كثير جداً! ولأني لا أستطيع التحدث  
 فتحدثت بصوت مكتوم داخلي وناجيت ربي أن  
 يُنقذني مما أنا فيه. فجأة شعرت بأن جسدي قد إرتفع  
 للأعلى وسقط على الأرض بقوة فصرخت من الألم! ما  
 هذا؟ لقد خرج صوتي! فتحت عينيّ ببطء ورعب  
 طبعاً خشية أن أجد ذاك الفحمة مازال واقفاً ولكن

عندما فتحت عينيّ وجدتي قد سقطت على الأرض  
بجوار السرير كما لو أنني كنت أتقلب فوقعت، لكن  
من شدة الوقعة خشيت أن يكون عظمي قد تكسر،  
فحاولت أن أحرك جسدي فوجدته يتحرك فاستندت  
على السرير محاولة الوقوف ثم جلست عليه قليلاً وأنا  
لا أدري هل أنا على قيد الحياة أم أنني ميتة!  
فاستجمعت قواي ونهضت من مكاني ونظرت حولي  
بتوجس فلم أجد الرجل الفحمة، بحثت تحت السرير  
وفي خزانة ملابسي ولم أجده، هرولت إلى النافذة  
فوجدتها مغلقة بإحكام فمن أين دخل إذن؟! هرولت  
إلى باب الغرفة ففتحته ونظرت خارجه بجزر فما وجدته

أيضاً! خرجت من الغرفة وبحثت في كل مكان في باقي  
الغرف وفي المطبخ والحمام، بحثت أيضاً تحت الكنب  
وفي الأدراج حتى السجاد بحثت تحته! وعندما لم أجده  
جلست على الأرض لأستريح قليلاً وضممت أرجلي  
لبطني واحتضنت نفسي أطمئنتها وأنا داخلي يرتجف  
فقلت محدثة نفسي: يا ترى هل كان هذا كابوساً هو  
الآخر أم أنه حدث في الواقع؟ ويا ترى هل أنا  
مستيقظة الآن أم مازلت أحلم وسأدخل في كوابيس  
أخرى؟ ولو كنت في وعيي هل أذهب إلى المحل أم  
سأجده يحترق مرة أخرى ويُقبض علي مرة أخرى؟ ما  
هذا الذي يحدث لي ولما؟ كل هذا من تلك البطيخة

التي منذ رأيته وأنا لم أجد الراحة ولو للحظة واحدة.  
دموعي نزلت من عيني رغماً عني فتركها تنزل بحرية ولم  
أمنعها ولكن تركت التفكير وبكيت فقط، بقيت هكذا  
لنصف ساعة بعدها أذن الفجر فتوضأت واصلت  
وتلوت أذكاري ثم إرتديت ملابسي وخرجت، طبعاً لن  
أفطر فهل بعد كل ما حدث سأجد شهية! عندما  
خرجت إلى الشارع كنت أنظر حولي على البيوت  
والوجوه محاولة أن أتأكد أنهم حقيقيون وليسوا حلماً،  
هاأنا ذا قد وصلت المحل المشئوم لكن تفاجئت عندما  
وجدته.... سليماً لا يحترق!! أيعني ذلك أنتي الآن في  
الواقع ولست في كابوس؟ الحمد لله أخيراً! هرولت إلى

المحل وعندما دخلته وجدت عجوز خبير قام من جلسته  
 عندما رأني وقال لي بغضب وتلك أول مرة أراه غاضباً  
 بهذا الشكل: أين كنتِ يا هنية طوال هذه المدة؟ يومان  
 وأنتِ مختفية لا جساً ولا خبراً ومن غير أن تستأذنيني  
 وتركتيني وحدي هكذا وقد تراكم العمل فوق رأسي!  
 لقد اعتقدت أنكِ قد هلكتي أو أنكِ مريضة بشدة  
 وكنت سأبلغ الشرطة لكي يذهبون إليك ليكتشفوا ماذا  
 حدث لكِ! من شدة صدمتي لم أستطع الرد وأخذت  
 أنظر إليه بتعجب والدهشة تعلو ملامحي وقد فغرت  
 فاهي على أشده وأنا مصدومة ورأسي يكاد ينفجر من  
 كثرة التفكير. يومان! كيف؟ لقد كنت هنا بالأمس!



أيعني ذلك أتي أحلم منذ يومين لم أستيقظ قط أم أنها  
 ليست أحلام وكنت أهلوس أم أنها كانت واقعاً؟! لا  
 ليس طبيعياً كل هذا الذي يحدث لي لقد تعبت! صرخ  
 بي مرة أخرى فأفزعني وهو يسألني أين كنت لكن  
 أعصابي لم تتحمل كل هذا وفقدت الوعي!  
 أفقت بعد قليل فوجدتني جالسة على كرسي في المحل  
 وسيد العجوز كان واقفاً أمامي ويبدو على وجهه  
 الإضطراب وقال لي: هل أنت بخير يا بُنيّتي؟ ماذا  
 بك؟ سألني لم أقصد تخويفك؟  
 ما هذا؟! إنها أول مرة أجده حنوناً هكذا! أجبته  
 مسرعة كي أطمئنه وقلت له: لا تخف أنا فقط مريضة

قليلاً ولم أتناول الطعام منذ يومين لذلك فقدت الوعي،  
مجرد هبوط وساكون بخير إن شاء الله.

رد بنبرة باردة: جيد جيد، لكن أخبريني يا هنية أين  
خبأتي التحفة؟

نظرت له بدهشة كبيرة وقلت له: أي تحفة؟!

رد بهدوء وقال: التحفة يا هنية التي تُشبه البطيخة!  
أين خبأتها وماذا عرفتني عني يا هنية؟ تكلمي وإعترفي  
لي أنا أفضل بدلاً من أن يجعلوكي تعترفين بالقوة.

أجبتة بخوف وقلت له: من هم هؤلاء؟ من تقصد؟!  
علام تتحدث لا أفهم هل أنت ساحر؟

رد بإندهاش: ساحر! هل أنت مجنونة أم ماذا؟

صرخت به: أجل أنت ساحر وتحاول تخويفي بتلك  
الكوابيس فأكيد هم جن من خدمك وتريد تخويفي بهم  
حتى تعرف أين التحفة أم أنك تريد الخلاص مني؟  
على العموم إطمئن فأنا لا أعرف مكانها منذ وضعتها  
بالمخزن لم أرها مجدداً فلتتركني وشأني فلقد  
تلفت أعصابي وتعبت أريد أن أنام مرتاحة، ولو أردت  
طردي فإطردني ولا تخف لن أخبر أي أحد بحقيقتك.  
ضحك بصوت عالٍ ضحكة مرعبة وقال: يبدو أنك  
تهلوسين وهذا من تأثير التحفة التي سرقتها فلترجعها  
إلي وسترتاحين من كل هذا.

رددت بعصبية: قلت لك لم أسرقها فأنا لم أستطع حملها

وقتها فكيف أسرقها فلتسأل الجان الذين يخدمونك

وإجعلهم يبحثون لك عنها ويعرفون مكانها.

رد بنفاذ صبر: أي جان يا حمقاء؟ أمازلت تعتقدين أنني

ساحر أيتها الغبية؟! أنا لست بساحر فلتفهمي ذلك.

قلت له بشك: إذا ما تكون أنت؟!

إقترب مني ونظر في عيني وقال بصوت كالفحيح: أنا

لست ساحراً.... أنا عميل سري للموساد....

## الفصل السادس

## كشف الأسرار

من شدة الصدمة لم أدري ماذا أقول! يا لهول ذاك الخبر!  
الموساد! يالمصيبة! أيعني ذلك أني أعمل منذ خمس  
سنوات مع جاسوس وأكل من مال حرام! خمس  
سنوات أعاون الذي يضر بلادي وأنا لا أدري  
وساهمت في الإرتقاء بعمله وأنا التي كنت أعتقد أنه  
مجرد تاجر أنتيكات لكنه كان متخدأ هذا المحل ساتراً  
يُخفي به هدفه الأساسي! ولأنتي حمقاء سألته سؤال لا  
يَمِثُ للموضوع بأية صلة: من صاحب الجثة المحترقة؟

نظر لي نظرة معناها (وأسفاه لقد جُنت الفتاة) وقال:

أية جثة تقصدين أيتها المعتوهة؟ لا تلعبين بعقلي

وتغيرين الموضوع وأخبريني أين البطيخة؟ وفجأة تغيرت

نبرة صوته من الحدة للتوسل وقال لي: أرجوكي أخبريني

أين هي فإن لم أعيدها سيقتلوننا أنا وأنتِ بِشاعة!

نظرت له بخوف وقلت له: من هم هؤلاء وما شأني أنا؟

أتعمل حقاً مع الموساد؟!

صرخ بي وقال: أتهزأين بي؟ وماذا كنت أقول منذ

الصباح إذن؟ هيا أخبريني سريعاً عن مكانها قبل أن

يأتوا وينتهون منا لو لم نجدها ونعطيها لهم، لا بد أنهم في

طريقهم إلينا.

دفعته بعيداً عني ونهضت من على الكرسي وقلت له:  
 إبتعد عني فأنا لم آخذها ومن المؤكد أنك أنت من  
 سرقها وتريد أن تتهمني أنا لتنجو أنت من عقابهم  
 وتكسب التحفة! عندما دخلت المخزن لأبحث عنها لم  
 أجدها وخمنت أنك خبايتها مني حتى لا أعرف الحقيقة  
 والآن تريد أن تتهمني بالسرقة فلتذهب وتبحث عنها  
 بعيداً عني.

سألني بتعجب: متى دخلتي المخزن؟ فمذ وصلتني  
 التحفة وأنا لم أفتحه قط! آه، تقصدين ذلك اليوم عندما  
 دخلتني لتنظفي ملابسك! آه يا ملعونة! أيعني ذلك أنك  
 كنتِ تنوين سرقها فعلاً؟

قلت له باستهزاء: أسرق ماذا؟ هذا الشيء العجيب! إنه

مجرد كرة تشبه البطيخة ليس لها أية فائدة ولا قيمة ولا

أدري سر إهتمامك المبالغ فيه بها. ولما سأسرقها ماذا

سأفعل بها ولمن سأبيعها من ذاك المجنون الذي قد

يشترها؟ أنا فقط كنت أريد أن أعرف ما علاقتها

بأحلامي ولما منذ أن أحضرتها أنت إلى هنا وجعلتني

أنقلها للمخزن وبعد أن سقطت مني أرضاً وخرجت منها

تلك الذبذبات وأنا أرى كل تلك الكوابيس المرعبة؟

سألني بفضول: أي كوابيس؟

حكيت له كل الذي حدث لي منذ حملت تلك

البطيخة حتى هذه اللحظة وكان يسمعي بفضول



ودهشة وقال لي: ما هذا التاريخ وأين رأيته؟ لقد  
فحصت البطيخة جيداً ولم أجد عليها أي أرقام أو  
رسومات حتى أنها ليست بتحفة أصلاً إنما هي كبسولة  
لا تَمِت إلى عملنا بأية صلة مطلقاً لقد وصلتني مع باقي  
التحف للتمويه لا أكثر. ماذا قلتِ أقلتِ أنها إهتزت  
عندما سقطت وخرجت منها ذبذبات؟ يا للمصيبة! هل  
تعلمين ما معنى ذلك؟  
قلت له ببلاهة: وماذا سيكون معناها؟ إنها مجرد شيئاً  
معدنياً ومن البديهي عندما تسقط أن ينتج عنها  
ذبذبات.

رد وهو يَجْزُ على أسنانه: يا غبية! إنها ليست مجرد كرة  
 معدنية، إنها كبسولة بها مادة كيميائية تسبب هلاوس  
 وخيالات بشعة تجعل من يستنشقها يُصاب بالجنون  
 من شدة الهلاوس أو يقتل نفسه أو من حوله وربما  
 يأكلهم أيضاً!

أمسكته من تلايبه وجعلت أهزه بشدة وأنا أقول له:  
 ماذا تقول يا مجنون؟ أيها الملاعين أجلبتم تلك الكبسولة  
 الملعونة إلى هنا لتدمرونا! ومن يدري ربما من سرقها قد  
 فتحها ولو فعلها لكانت النهاية فبذلك ستدمرون البلد  
 بأكملها!

قال: إهدأي يا فتاة فتلك الكبسولة لا يوجد بها غاز فقط، هذا الغاز هو مجرد حماية لما بداخلها حتى إذا حاول أحد ما سرقتها سيصيبه مثلما أصابك، فنحن نفعل ذلك مع كل الأشياء المهمة التي تُبعث لعملائنا في كل مكان حتى نحافظ عليها وأيضاً لا تُفتح تلك الكبسولات إلا بطرق خاصة لا يعرفها غيرنا.

قلت له: وماذا يوجد بداخلها إذن؟

قال: بالطبع لا أدري فهي سرية جداً ولا يستطيع فتحها غير الهدف المحدد، نحن فقط علينا توصيلها لبعضنا البعض وأن نحميها فقط.

قلت له: أعتقد أنني سأصدق كلامك هذا أعتقد أنني  
مجنونة؟ هيا أخبرني ماذا يوجد بداخلها وكيف أتعالج  
من أثر تلك المادة؟

قال لي: صدقيني لا أعلم فنحن العملاء الصغار لا نطلع  
على المعلومات الهامة حتى لا نُخبر بها أحداً لو تم  
كشفتنا.

قلت له: وما الذي جعلك تكشف نفسك لي؟  
أزاح يدي من على ملابسه وقال بهدوء: لأنني كنت  
أعتقد أنك أنت من سرقها وكنت أرغب أن أطلعك  
على خطورة الموقف فلربما تخافين وتعترفين، ولكن طالما

لا تعلمين مكانها فيجب إذاً أن .... أتخلص منك  
وأهرب قبل أن يتخلصوا هم مني.

لم أفق من دهشتي إلا وقد غرز خنجراً في قلبي  
فسقطت على الأرض أصرخ من شدة الألم خاصة أنه  
قد إنتزع الخنجر وتركني أتضرح في دمائي وهروول إلى  
ركن في المحل وأمسك جركناً من البنزين وأغرق به  
أرضية المحل وفتح الباب -الذي كان قد أغلقه عندما  
فقدت الوعي- وهرب لكنه قبل أن يخرج أشعل عود  
كبريت وقذفه داخل المحل وأغلق بابه خلفه بالمفتاح  
وإختفى، وفجأة إشتعلت النيران في المحل كله وإقتربت  
مني فتلوت الشهادتين وإنتظرت مصيري المحتوم وكان

من الواضح أن الجثة المحترقة التي كانت تظهر لي ما هي

إلا ..... أنا

إلى اللقاء في الجزء الثاني إن شاء الله